

## القراءة وعصر الانفجار المعرفي

2015-02-17 علي حسين عبيد

قليلة تلك النوافذ الجيدة التي يمكن أن نطلع من خلالها على العالم، بما ينطوي عليه من كائنات وغرائب وظواهر لا تعد ولا تحصى، والقراءة هي النافذة الأوسع والأفضل لفهم ما يدور حولنا في العالم وفي الكون كله، بالإضافة إلى إمكانية تعضيد أفكارنا ومعرفتنا بالجديد دائماً، فالإنسان وهو يتبوأ الصدارة في قيادة نفسه والعالم أجمع، يحتاج على مدار الساعة منذ ولادته للمعرفة بكل فروعها وأشكالها، وهذا الاحتياج الضخم والمهم والمعقد في الوقت نفسه، لا يمكن تحقيقه إلا عبر القراءة، إذ حتى وسائل التوصيل الأخرى، كالصورة والصوت وما شابه، لا تمتلك قوة نقل الأفكار بمختلف مضامينها، مثلما تقدمه القراءة من مزايا للإنسان.

لذلك لوحظ منذ الأزمنة الغابرة، أن الإنسان يمكن أن يُصاب بحالة الإدمان على القراءة، وهو إدمان من النوع الصحي، خاصة إذا كانت ذائقة القارئ موفقة، وقادرة على التفريق بين الغث والسمين من الكتب والمؤلفات الأخرى، فالقراءة كما يصنّفها أهل العلم، والآخرون من المعنيين بمثابة الغذاء الروحي للإنسان، وهي وسيلة فعالة لتنمية القدرات العقلية والمهارات، لهذا ينصح أحد الكتاب المعروفين القراء قائلًا (اقرأ كتاباً جيداً ثلاث مرات أنفع لك من أن تقرأ ثلاث كتب جيدة)، من هذه الجملة الواضحة نستطيع أن نستشف القيمة الكبيرة للقراءة، خاصة أن الجميع يدعو إلى مضاعفة الفعل القرائي، وجميع العلماء والمختصون يؤكدون على أداة واحدة، قادرة على تطوير الأفراد والمجتمعات بصورة فعالة، ألا وهي القراءة.

من هنا لابد أن نعترف بفضل القراءة على البشرية عبر رحلتها الطويلة، فمنذ أن تم اكتشاف الرموز اللغوية، ودخول العالم عصر الكتابة والقراءة، تغير وجه العالم، وتغير تفكير الإنسان، واستطاع أن يحسن حياته، وينتقل من مرحلة التشابه مع الكائنات الأخرى، إلى مرحلة قيادتها والتسيّد عليها، فالقراءة أتاحت له استثمار عقله وذكائه في صنع الأفكار وتنميتها وتناقلها، لتسهم في صناعة ثورات المعرفة البشرية، ولتنقل العالم من سكونيته وثباته وروتينية العيش، إلى ما سميّ (بحقبة الانفجار المعرفي) التي أسهمت القراءة بصناعتها، فضلاً عن الرموز اللغوية التي غيرت وجه العالم، فقد سئل

ارسطو مرة هذا السؤال: كيف تحكم على إنسان ما؟ فأجاب: أسأله كم كتابا يقرأ وماذا يقرأ؟.

وهذا دليل قاطع على فاعلية القراءة، فهي وسيلة متنوعة الاستخدام، ولها اهميتها في جميع المجالات المعرفية، بل هي الوسيط الوحيد القادر على نقل الافكار بمختلف توجهاتها بسرعة ووضوح وتأثير كبير، فضلا عن كونها الوسيط الأفضل والأسرع في تناقل الافكار وتحويلها من صيغتها المجردة الى حيّز التطبيق العملي، ويكفي قول المختصين اللغويين بأن الكتابة هي الأداة التي يمكنها رسم الافكار والنوايا عبر حروف وكلمات تعجز عنها جميع وسائل تبادل المعلومات الاخرى، لذلك نلاحظ أن القارئ النهم يتميز على غيره بمزايا كثيرة وكبيرة، أهمها أنه يصبح انسانا معرفيا، يسهم في تطوير ذاته وعقليته وافكاره على مدار الساعة، وينطبق هذا بالضبط على المجتمعات، فالمجتمع القارئ، والميال نحو فعل القراءة، يتقدم المجتمعات الاخرى دائما، في طراز الحياة وطرائق العيش وما شابه، لذلك يقول العلماء المختصون، أن تطور المجتمعات والافراد مشروط بفعل القراءة، فكلما كان هناك إقبال فردي وجمعي على القراءة، كلما كان الافراد والمجتمعات اكثر وعيا وارتقاءً.

ويحينا هذا القول نحو أغراض القراءة وما يمكن أن ينتج عنها في الحيّز المعرفي، فقد شخّص أحد المختصين بالفعل القرائي بعض اغراضها، مؤكدا على أنها تساعدنا في التدريب على السرعة والانتقال وفهم المقروء والوقوف عند تمام المعنى، كما انها تسهم في تنمية الثروة اللغوية وزيادة حصيلة الفرد من مفردات اللغة وأساليبها، وتعمل على تكوين اتجاهات مفيدة نحو الميل إلى القراءة والإقبال عليها وحب الكتابة وملازمة الكتاب واقتنائه، وتدفعنا القراءة الى فهم المقروء والتعبير عنه، وهناك أغراض أخرى للقراءة منها، القراءة لمعرفة رأي ما، وقراءة التثقيف الذاتي والجمعي والاستزادة، وكذلك قراءة الاستعداد والتهيؤ لبرنامج أو مقابلة جمهور، وثمة قراءة لمعرفة وسائل حل المشكلات، وهناك قراءة جمع البراهين والحقائق لموضوع ما، ويرى المختصون اللغويون أن هناك مستويات متعددة للقراءة، فأحد مستوياتها يتمثل بما يسمى بـ (قراءة السطور) وهناك مستوى (قراءة ما بين السطور)، وأخيرا مستوى (قراءة ما وراء السطور)، وقد وضع اللغويون تسميات مختلفة للقراءة منها، القراءة الحرفية والتفسيرية والإبداعية واخيرا القراءة الناقدة.

ولذلك كان ولا يزال وسيبقى دور القراءة حجر الزاوية في التطور المجتمعي، علما أن أثر القراءة لا يتعلق بميزة نقل واكتساب الافكار العلمية المجردة من الأحاسيس والمشاعر، أي نقل الافكار

العلمفة فحسب؁ وانما كان للكلمات قصب السبق فف إققاد وقذح شرارة أعظم الثورات فف التاريخ؁ من خلفل تطوفر العقل وتعزفد المعرفة وترسفلها للفرد والمجمع؁ لتدخل البشرية ففما أطلق علفه بحقبة الانفجار المعرفف؁ وهو العصر الذي أعقب اكتشاف القراءة وانتشار المطبوع الورقف بمختلف اشكاله وتأثراته.